

## اتيقا الايروس عند ايمانويل ليفيناس

عمر رحيم<sup>(\*)</sup>

### الملخص باللغة العربية:

يعالج ليفيناس في الايروس أساسيات فينومينولوجيا ما وراء الوجه، حيث تتجلى نقاوة الغيرية وتتأصل خصوبة مفاهيم الأنوثة والذكورة، الأبوة والبنوة، فيتحرر الايروس من الانتهاك واللاشرعي، وتحافظ الأبوة على حب البنوة باسم الإنية والذاتية، التي تجعل منهما ومن الجنس الآخر - الذكر والأنثى - لقاء أنا مسئول عن آخر، وحب يتحرر من رغبات الايروس الحسية والعاطفية التي تراعي الاختلاف بين المحب والمحبيب، كما أنه في الايروس يُسمح للابن أن ينفلت من سلطة وانتماء وملكية الأبوة لصالح الغيرية ويكون حب الأبوة هو حب لآخر حر، وعودة باسم الايروس إلى مسؤولية ذاتية اتيقية على كل محبوب.

**الكلمات المفتاحية:** الايروس، الاتيقا، الأنوثة، الذكورة، الأنا، الآخر، المسؤولية، الذاتية.

### ملخص باللغة الإنجليزية:

**Summary:** Levin as deals in Eros with principles of phenomenology behind the face, where appears the purity of heterosexuality and fertility the concepts of womanhood and manhood, fatherhood and childhood, this Eros frees from in fraction and illegitimacy, and the fatherhood preserves the love of childhood in name of ego and subjectivity which turn them and another sex in emotional desires of Eros witch fellow the difference between the loving and beloved, also Eros flees from the authority belonging and ownership of fatherhood in

<sup>(\*)</sup> باحث دكتوراه علوم في الفلسفة، تخصص الفلسفة المعاصرة وقضايا المنهج، مختبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها- جامعة تلمسان- الجزائر، العنوان الالكتروني: amarrahim59@gmail.com.

fever of heterosexuality and thus the love of fatherhood will be love of other free, and the comeback in name of Eros subjective and ethical responsibility the beloved.

**Keywords:**Eros, ethic, the womanhood, the manhood, the ego, the other, the responsibility, the subjectivity.

#### تمهيد:

في تجربة الغيرية لدى ايمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas (1906-1995) حول تحديد العلاقة بالآخر، لم يستثنى إمكانية تأصيل حقيقة اتيقية مع الجنس الآخر l'autre sex، حيث يكون هنا متجها نحو البحث عما إذا كان بالإمكان توفر حالة يمكن من خلالها للغيرية أن تبرز في نقاوتها وأصالتها؟ إذ يصبح الأصل متعلق بالبحث عن نموذج للاتيقا éthique في العلاقات الايروسية الميتافيزيقية<sup>\*\*</sup>، والميتافيزيقا هي غير تأمل الأشياء الما وراثية والطبيعية، المفارقة للقوى الإدراكية للعقل البشري، هي بالعكس تماما تمثل بشكل مباشر التوجه نحو الشيء بنحو مخالف تماما، نحو الآخر autre وتتم هذه العلاقة عند اللقاء بوجهه، يظهر الايروس Eros على شكل توليد غيرية altérité نقية وخصبة مع الجنس الآخر المختلف حسب التصنيف المنطقي والتعريف كالذكورة على حساب الأنوثة مثلا. فيتم بذلك معرفة طبيعة العلاقة معه- الجنس الآخر- أو عند الانتقال من وضع إلى وضع آخر.

ذهب ليفيناس بالاتيقا إلى وضع ارفع من الانطولوجيا ومن الفلسفة التي تهتم بالكماليات والتجريد المعرفي، لأنها ببساطة الفلسفة الأولى philosophie première، كونها دائما تساؤل الآخر وتحصر بمسؤوليتها عليه، وفق تلبية النداء والإنصات له كونه المختلف والغريب، وقيمة بحثنا هو معرفة فما إذا كان الايروس هو الآخر يحافظ على مسافة الغيرية ويجمع بين حدود الأنا والآخر، اتيقا الايروس دائمة البحث عن

<sup>\*\*</sup> الميتافيزيقا: هي الفلسفة الأولى عند ايمانويل ليفيناس، هي نفسها الاتيقا، فلم تعد تمثل التمثل العقلي المجرد عن الأشياء المجاوزة للطبيعة ولقدرات العقل البشري، الميتافيزيقا تنجّه نحو شيء مغاير، نحو الآخر، الميتافيزيقا هي ذاتها العلاقة الاتيقية بالغير، والآخر يكون ميتافيزيقي لتعالبه من إمكانية اختزاله في الأنا ضمن مقولات المعرفة ونرجسية الأنا، ليخرج بذلك عن منطق الشبيه والمثيل الذي يقابل الأنا في حريتها ومسؤوليتها، فالميتافيزيقا هي العلاقات الاتيقية نحو الغير الميتافيزيقي: ينظر: Emmanuel Levinas, *totalité et infini, essai sur l'extériorité*, livre de poche, martinus, nijhoff, 1971, p77,86

قيم ومبادئ في كيفية رؤية الأنوثة من جانبي الإغراء والمسؤولية، كما تمتد إلى الأبوة حيث علاقة الأب بالإن والزوج الزوجة، فمجال الايروس هو ميدان لبحث آخر ينتمي إلى ما وراء الوجه *delà du visage au* حيث الايروس هو أحد المفاهيم التي تأصل لحقيقة الوجه وتكشف عن تعاليه، به تفهم اتيقا المسؤولية التي تحمل أكثر من الايروس ذاته، وهو تحدي للايروس حول جوانبه الاغرائية والحسية التي تذهب وراء الجنسي والحسي بشكل دائم، فتصبح العلاقة التي تجمع بين المحب والمحبوب موضع اختبار وانتظار الأدوار الجديدة للذكر والأنثى، وأيضاً للأب والابن، فإلى أي مدى يمكن للايروس أن يتحول إلى اتيقا، ويتحول كل ما يحويه بداخله إلى مجرد أنا وآخر، حيث يتم التخلي عن المحب والمحبوب؟ وللإجابة على الإشكالية سنعمد على منهج التحليل لمعرفة مدى الحمولة التي ترمي إليها فينومينولوجيا الايروس، والخروج بنتائج حول العلاقات الايروسية والنسبية. لنكون قد اجبنا حول استفهام مدى إمكانية تجاوز الاغرائية في الايروس، ومعرفة الأدوار الجديدة التي يحملها الذكر والأنثى، والتي يحملها الأب والابن.

### أولاً: ماهية الايروس

تولد من الاختلاف الجنسي بين الذكر والأنثى حقيقة لا تنفك عن خطاب الوجه الاتيقي، فالايروس<sup>\*\*</sup> يصبح مفهوماً خالصاً ويجعل من الآخر كائناً متعالياً، الشخص في الايروس يملك وعياً حميمياً يذهب نحو الآخر، كما يسود بين الأصدقاء وبين الإخوة، ويسود بين الأطفال والأزواج، وبين الذكر والأنثى، باعتبارهم جميعاً شروط وحدوداً لغيرية الأنا، التي تفهم فقط من خلال العلاقة الايروسية التي تعبر عن حاجة لا بد من بلوغها، يقول ليفيناس: "الحب يبقى بمثابة علاقة مع الغير، منعطفاً بالحاجة، وهذه الحاجة بدورها تفترض برانية شاملة *extériorité totale*، فتعالي الغير

<sup>\*\*</sup> نسبة إلى *éros* اله الحب عند اليونان، وهو أقدم الآلهة، تحدث عنه أفلاطون في مأدبة أغاثون إذ ينتدئ فايدروس بإثبات أن الحب اله جبار، وأنه اله رائع من بين الآلهة والرجال لعدة اعتبارات، إنه الأكبر سناً مقارنة بالآلهة، وليس الأكبر فقط، بل إنه المصدر الأعظم للمنافع لنا جميعاً، وفي محاولة فايدروس يسأل أفلاطون فايدروس قائلاً بلسان سقراط: "حسنًا أوليس أيروس، ابن افروديت، وهو اله كذلك؟ فايدروس: هكذا يقول الرجال، وفايدروس بطبيعته يحب الجمال لأن افروديت رائعة الجمال، ينظر: افلاطون، محاوره المأدبة، تر: شوقي داود تمارز، الأهمية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص 48. يعرف لالاند الايروس انه عشق وهي رغبة في المحب، مقابل الصداقة، وينحو أعم كل رغبة شديدة، وكل هوى: لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج 1، تعريب خليل حمد خليل، أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط 2، 2001، ص 360.

والمحبيب، أيضا يذهب إلى ما وراء المحبوب<sup>1</sup>، أمّا عن هذه الحاجة فهي حاجة "أنا" لـ "أنا" آخر، وعلاقتها تتجاوز الفهم السطحي للحب، وتبقى علاقة ميتافيزيقية لا تشبع ولا تتعلق بالحسي، إذ يصبح الأيروس قاصدا الآخر فما وراء وجهه، إلى الأبعاد التي لا تكشفها برانية الوجه extériorité du visage، ليصبح الحب المصوّب نحو المحب مسلحا باتيقا الأيروس، فما معنى هذا الكلام؟

يجعل الحب من صاحبه حريصا على محبوبه، والحرص لا يستثني تقديم المساعدة التي تنهل من عوز الوجه وهشاشته، ومن ضعفه القابل للانتهاك والانجراف، فقط العلاقة اللاتماثلية "وجها لوجه" face à face حسب ليفيناس الكفيلة بوصف الذكر والأنثى، هي نفسها شروط "الأنا" مع "الآخر"، وبهذا الخروج من اعتبار الحب انصهار أو اتحاد بين محبوبين كما وصفه من قبل أفلاطون<sup>2</sup>، فالاتيكا إذن انفصال بين ذاتين على نحو إقامة مسافة ميتافيزيقية قوامها مراعاة حرية واستقلالية الآخر عن الأنا، والأيروس أيضا لا يختزل المحبوب في الذات en soi أو يجعله حاضرا في جنسه ومكانته، فأول الشروط لكل حوار ايروسي هو فصل الأجناس فصلا حدوديا، يقول ليفيناس: "وفصل الأجناس ليس ثنائية حدين متكاملين، لأن الحديث عن المتكاملين يفترضان كلا موجودا مسبقا، والقول بالثنائية الجنسية تفترض كلا، هذا القول

<sup>1</sup> - Emmanuel Levinas, *totalité et infini*, p 285.

\* في الميثولوجيا اليونانية، كانت فكرة الأزواج الجنسية، ترى ان البشري القديم كانوا يتمتعون بالديتين الذكورية والأنثوية في آن واحد، وبعد ان ارتكبوا ذنبا حق زيوس قسمهم إلى جنسين منفصلين، ذكر وأنثى، وفي مأدبة أفلاطون يتحدث اريكسماخوس عن الزوجين الذكر والأنثى، على ان يبقى احدهما للآخر قائلا لهيغياسستوس: "افترض يا هيغياسستوس أن تأتي إلى الزوجين بكيس أدواته، هذين الزوجين المتتمدين جنبا إلى جنب وتقول لهما: "ماذا تريدان أيها الفانيان من بعضكما البعض؟ فهما لن يكونا قادرين على الإيضاح، وافترض ابعد من ذلك وهو انه عندما رأى ارتباكهما: "هل ترغبان ان تكونا واحدا بالكمال، وان تكونا معا ليلا بهارا في عشرة بعضكما البعض؟ إذا كان هذا ما ترغبان فاني على استعداد لأن اصهركما وأذيبكما معا، وهكذا ستصبحان واحدا بعد أن كنتما اثنين وطالما تجيبان فإنكما ستجيدان حياة عارية كما لو كنتما فردا وستبقيان روحا واحدة، مغادرة، وليس روحين اثنتين في العالم السفلي بعد موتكما، إنني أسأل ما إذا كان هذا الذي ترغبانه بشوق وحب أو ما إذا كنتما مقتنعين لتتلاها؟ أن هذين الرجلين الاثنين حينما يسمح الاقتراح لن ينكر أو أنه لن يعترف بأن هذا اللقاء أو الانصهار بعضكما في بعض، هذه الصيرورة في واحد بدلا من اثنين، لن يعترف بأن هذا كان التعبير الواضح عن حاجته القديمة، والسبب في ذلك هو ان الطبيعة الإنسانية كانت واحدة في الأصل، وكنا نحن كلا، ودعيت الرغبة والملاحقة للكل حبا... ينبغي هنا ان نمدح اله الحب الذي هو المحسن الأكبر لنا وهو معيدنا إلى طبيعتنا الخاصة في هذه الحياة، وواهبنا الآمال السامية بالمستقبل، لأنه وعدنا إذا كنا أتقياء برة بأنه سيعيدنا إلى الحياة الأصلية وأنه سيفيقنا ويجعلنا سعداء مباركين: أفلاطون، محاور المأدبة، مرجع سابق، ص 151، 150.

يقودنا إلى طرح الحب كاندماج، غير ان انفعال الحب يقوم في ثنائية لا يمكن دمجها، إنها ما يتوارى إلى الأبد<sup>1</sup>، شعور الحب يأتي من وراء استقامة الوجه، والفرق الجنسي - الذكر والأنثى- لا يمكن موضعيته وليس شرطا للايروس أو حدودا للتصنيف المنطقي فصلا ونوعا، لأنه لا ينتهي إلى هذا لتقسيم، والفرق الجنسي يصبح كذلك كونه حدود لاتيكا المسؤولية، حتى لا يتم إقصاء الذكر والأنثى، لتنتج بذلك غيرية خاصة.

ينزه ليفيناس الحب من مفاهيمه الاغرائية والرغبة الجنسية، لكن إذا ما ان استثنى من الاتيكا فهو يصبح خطرا وظلاما، يهدف إلى كل معاني اللاشري clandestin ويؤدي إلى غياب الحشمة impudeur أو اللاحياء المنتهي إلى الحياة الليلية المليئة بالخوف والاعتصاب، التي توصف بالرعب والانتهاك، فلتجاوز هذا الانتهاك وتخليص الايروس من الإغراء الحسي يتوجب إيجاد اتيقا للغيرية داخل أطراف الايروس، وغير هذا يؤدي حتما إلى الظلامية وانتهاك السر وكل مظاهر اللا شرعي التي يدعو إليها الايروس. الاتيكا تكون مهمة لتجاوز الانتهاك، فيستعاد بذلك السر، بمسؤولية شخصية ذاتية ليس أمام المحبوب أو الأنثى، بل أمام "الوجه" visage الداعي لكل مظاهر العنف والاعتصاب، ومجسد لكل مظاهر العري والحشمة، والتي تزيد حملتها اغرائية الايروس.

الايروس كمفهوم هو إغراء يعطى بوجه عاري يحتشم اتيقا، لأن الشهوة volupté الموجودة فيه لا يمكن تجاوزها سوى مع الجنس الآخر المختلف، الذي يتبدى "آخر"، وصفة الآخر هي الحماية وموجود تحت عائق مسؤولية "الأنا" le moi. فيبقى الانتهاك بهذا خارج الانتماء الاغرائي الايروي، وعن ممارسة اللاشري، وذلك بالرغم من تمثل هذا الآخر، أنثوي كان أو غريب، لتصبح الأنثى لغزا لا يكشف أمام النور، يصعب اغتصابه. يقول دريدا: "في الأنثوي يوجد ما لا يغتصب، وما يمنع العنف، حيث يعرض ما هو قابل للانجراح دون دفاع، فالذي يوجد في الأنثوي هو انه يظهر الوجه ذاته للأنثى فيمنح الوجه الذي يغدو إلى ما وراء الوجه حيث الايروس"<sup>2</sup>. أن ما يجعل الايروس عفيفا هو "الوجه"، فالوجه لا ينتهك ولا يغتصب لأنه لا يقاوم ويمنع أشكال العنف، الايروس دون الوجه دعوة صريحة وعودة إلى الاعتصاب والانتهاك، ما يميز هذا الوجه هو انه يستبدل إحساس الإشباع للرغبة بإحساس آخر ميتافيزيقي لا يهدف إلى الإشباع بقدر ما يهدف إلى الجوع وإلى الفراغ -- في الأنوثة- دائما البحث

<sup>1</sup> - Emmanuel Levinas, le temps et l'autre, puf, paris, 1985, p142.

<sup>2</sup> - Jacques derrida, l'écriture et la difference, edition du seuil, paris, 1967, p 76.

والتفتيش في تمثيل الحب لكنها تعاني من عدم القدرة على قوله، فهي تملك جوع هذا التعبير نفسه، وهو جوع دائم التزايد<sup>1</sup>، الجوع المتزايد لا يشبه الرغبة البيولوجية، فنحن نتحدث عن رغبة ميتافيزيقية تقتات على جوعها، لا تشبه إشباع المأكّل والمشرب، لغز الأنثى إذن يتسّر في منطقة محرمة le no man's land بعيدة عن الشهوة وعن الرغبة الحسية، هي تجسيدا لمحظور يستحيل تعديده، به نعرف ما يمكن ان يكون وما يستحيل، ما يتعالى عن الحس وما يتدنس به، فالشهوة في الايروس إذا ما جردت من الاتيقا والذاتية تتحول إلى رغبة حيث يمكن أن يوجد نفاذ الصبر، فما كشفت عنه الاتيقا هو أن الشهوة والرغبة تهدف فقط نحو المنتهك والمخفي، التي تمارسه أفعال اللاحشمة واللاشرعي: "الشهوة تبدأ مسبقا في الرغبة الايروسية، وتبقى في كل لحظة رغبة، والشهوة لا تأتي لتعويض الرغبة، إنها هذه الرغبة ذاتها، لهذا السبب الشهوة ليست نفاذ الصبر، بل هي ذاته نفاذ الصبر، تستهدفه وتتغذى به، ونهايتها مفاجأة، لأنّها تذهب دون الذهاب إلى نهاية"<sup>2</sup> تستعاد نهاية الأنوثة بالاتيقا ونفاذ الصبر قد يؤسس لغيرية الأنوثة، فهل حقا العلاقة مع الأنوثة تصبح شبيهة بعلاقة الأنا بالآخر؟

### ثانيا: ايروس الأنوثة والغيرية

تلعب الأنثى دورا أساسيا في فينومينولوجيا الوجه عند ايمانويل ليفيناس، وأمام هذه الأنثى الذكر يكون مع جنس آخر مختلف عنه تماما، والانا يقابل شخصا مختلفا، ما تميّز به العلاقة الايروسية عن غيرها هو أنّها تقام فقط بين شخصين وبالتالي ليست شبيهة العلاقة الاجتماعية، وطرفي هذه العلاقة هم "المحب" و"المحبوب" l'aimant et l'aimé، وبين هذين هناك علاقة جوانية تجمع الذكر بالأنثى، تتم داخل حدود الضيافة والطيبة وحسن الاستقبال: يقول ليفيناس: "الأنثى هي آخر بالنسبة للموجود الذكر وليس فقط لأنهما من طبيعة مختلفة، وإنما لكون طبيعتهما في احد أوجهها تمثل غيرية"<sup>3</sup> إذن الأنثى تشكل موجودا "آخر" بالنسبة للذكر، ولا يحق للذكر ان ينظر إليها كونها جنسا مختلف عنه، فشرط وجود الغيرية الأنثوية هو وجود فصل واختلاف، واصل الاختلاف هذا لا يجب ان يرجع إلى البنية الانطولوجية

<sup>1</sup> - Emmanuel Levinas, *totalité et infini*, p 288.

<sup>2</sup> - *ibid*, p290.

<sup>3</sup> - Emmanuel Levinas, *éthique et infini*, livre de poche, librairie arthene, fayard et radrie, France, p 57.

والمنطقية -ذكر-أنثى- وإنما إلى اعتبارهما انوات ولقاء يجمع بين الأنا والآخر، حيث تستثنى صفات الأنوثة عن الذكورة.

ترتبط الأنثى بالغيرية وهي نمط لحدث جوانية ، إذ أنها تجد هويتها داخل المسكن، في البيت، وهي دورها قائم على الاستقبال accueil والضيافة hospitalité. والبيت يصبح رمزا للألفة والعلاقات الحميمة التي تؤسسها الأنثى، وهي حسب ليفيناس هي: "شرط لتأمل جوانية البيت"<sup>1</sup>، لأن البيت رمز للاهتمام وقبول الضيف والغريب، وهو مكان قبول الآخر وعدم رفضه، وخير من يجسد الحياة الجوانية la vie intérieure هي الأنثى. ويصف دريدا هذا البيت بكلمتي "مفتوح" ضيافة"<sup>2</sup>، مفتوح لأنه دائم الاستقبال، وضيافة لأنه يرحب بالآخر، والأنثى تكسب من هذا البيت دورا في فضاء الحميمة مع الذكر: "البيت مكان فارغ ، هو شرط الاستقبال والحميمة مع شخص ما، يستقبل الآخر بصمت، والاستقبال هي الضيافة بامتياز، والتي تضيف فضاء الحميمة هي الأنثى"<sup>3</sup>.

تحافظ الأنثى على أنوثتها باعتبارها غيرية، أين لا يمكن لسرها ان يكتشف أو يداعب، فلا يحق اغتصابه لا بالشهوة ولا بالمداعبة، الأنثى أيضا "وجه"، كما أنها شرطا للغيرية التي لا تراعي الفرق والتصنيف بقدر ما تهتم بوضع مسافات اتقية تقام الأنا والآخر، ليبقى الآخر في أحدهم أوجه هو وجه "الأنثى" يأتي من وراء سرايروس الذي انتهك، بعدما كان ينظر إليه مجرد رغبة حسية ومسخر لضرورة جنسية، فالمعاملة مع الأنثى يجب أن تتم خارج أنوثتها، كما لا تتم بالقوة ولا بإشباع الحس، لأن الأنثى ببساطة ليست متجلية ولا منكشفة للعيان، فهي ليست معرضة للنور، إنها فقط ما يتوارى ويبقى سرا متخفيا، غامضا، تمثل بالنسبة للذكر "آخرا مطلقا" autre absolu، أما الأنثوي والآخر فينسحب بعيدا، دالا على المكانة الاستثنائية للأنثى، يقول ليفيناس: "ان ما يهمني في فكرة الأنثوي ليس ما يمكن معرفته فحسب، وإنما نمط وجود يقوم على التواري عن النور، الأنثى هي حدث يختلف عن التعالي المكاني أو تعالي التعبير اللذان ينزعان إلى النور، الأنثى هي هروب أمام النور، فنمط وجود الأنثى هو

<sup>1</sup>-Emmanuel levinas, totalité et infini, p 166.

<sup>2</sup>-jacques Derrida, l'écriture et la différence, p 44.

<sup>3</sup>-Ernst Wolff, de l'éthique à la justice, langage et politique de la philosophie de levinas, springer, thenetherlands 2007, p 82.

الاختباء، وفعل الاختباء هذا هو الحياء بالضبط".<sup>1</sup> فعل الحياء والاختباء دلالة على لغز الأنثى وعلى عفة عذريتها، هي فقط بالنسبة للذكر آخرًا مطلقًا وشرطًا للغيرية المطلقة. فتزول عنها ضرورات الخضوع والانقياد وتبتعد عن الاغتصاب والانتهاك، لأنها ببساطة تملك وجهها لا ينتهك، وذلك متجل بوضوح. أما ما يجعل الأنثى تتوارى عن النور هو الآخر المطلق الذي لا ينظر إليها على أنها جسد أنثوي.

### ثالثا: ابروس الأبوة

بعدما خصص للأنثى مكانة استثنائية- يسعى ليفيناس إلى إمكانية توليد غريبة أخرى اتيقية في ابروس الابوة، حيث يتم معرفة طبيعة الود الذي يربط الأب بابنه، وعن هذه العلاقة هي نفسها شبيهة بالغيرية الأنثوية من حيث استبعاد التحديد المنطقي والانطولوجي بين الأجناس المختلفة، بل السبيل الوحيد لذلك هو الحدث الاتيقي بما هو لقاء بالآخر، باعتباره وجهها، وفي ابروس الابوة سنرى فما إذا كان بإمكان الأب ان يحافظ على ابنه باعتباره ولدا له، لتبقى مجرد علاقة عائلية نسبية filialité أم هو أيضا شرط لوجود غريبة فيصبح بذلك الابن مستقل عن سلطة أبيه فيكون بدوره آخرًا.

تجاوز ليفيناس الرابطة التي تجعل من الأب سببا وعلة لوجود الابن، أو اعتبار الابن مجرد ولد لأبيه، بمعنى الانتماء لصفة الابوة والبنوة فقط، لكن إذا كان الابن تحت وصاية الأب وحرصه عليه وحيه له فانه بذلك الابن ليس حرا، ولا ذات منفصلة، لأنه تحت رحمة أب لابنه، لأنه في شروط الغريبة هو وجود الآخر الذي لا يتماثل ولا يكون محتوا أو متقاطعا مع الأنا، نفس الصورة يجب ان تكون بين علاقة الأب بابنه، حيث لن يصبح الابن مختزلا في شخص أبيه وخاضعا له، بل ان الابن يصبح أولا وقبل كل شيء في الابروس "حرا" وأكثر حماية مما كان عليه تحت وصاية أبيه، إذ يصبح تحت مسؤولية الأب باعتباره "أنا" لا باعتباره أبا، كذلك الابن باعتباره آخرًا لا ابنا، فالأب بعدما تخلص من حب ابنه في "النسبية" يستعيده بوصاية وعناية وحب اكبر في الغريبة ويكون مسئولا عنه ليس باعتباره "أبا"، بل مهمة تنتظر الأنا نتيجة نظيرها الذي هو الآخر، والذي ليس أيضا ممثلا بالشبيه du même. يقول ليفيناس: "العلاقة مع الطفل - بمعنى العلاقة مع الآخر- ليست قوة، بل خصوبة تضعني في علاقة بالمستقبل والزمن المتناهي"<sup>2</sup> ويأتي نعت ليفيناس لعلاقة الأب بالابن

<sup>1</sup> -Emmanuel levinas, éthique et infini, p144.

<sup>2</sup> -Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 300.

بالمستقبل لان الغيرية زمنية تتم في المستقبل، وفيه تتم المسؤولية الاتيقية، إذ لا تخص لا الحاضر ولا الماضي.

مضمون الخصوبة هو النقاوة، وعفة العلاقة التي تتخللها المسؤولية، والتي تبحث دائما عن الآخر المطلق، إن ما يميز علاقة الأب بالابن هو أنها تتجاوز النور والانكشاف، كما تتعدى المعرفة والسلطة، تذهب في سيرورة زمنية متغيرة تتم في المستقبل، وعندما يشبه ليفيناس الابن بالتواري وعدم الظهور فهذا دليل على تعاليه وخروجه عن ممارسة السلطة والاحتواء والتملك، فالابن هو آخر مطلقا، تخلق عن انتماء الابوة لصالح الغيرية، والأبوة تستعيد الابن في خصوبة العطاء والطيبة والحب له، فإذا ما اعتبر الأب أنا والابن آخر بالنسبة له فانه سيكون أكثر مسؤولية وحرصا عليه، ويكون مستعد في كل لحظة لتلبية نداء الآخر ونداء الابن باسم الغيرية والوجه.

الأب ليس فقط من يوجد في تصرفات ابنه، وإنما من يبحث عن جوهر علاقته به، لأن الخصوبة من تجعل من الابن غريبا، فإذا فقد الابن مسؤولية الأب لن يفقد عناية الأنا على الآخر، ف "أنا" الأب دائما تلبي حاجة الابن الآخر، الذي يحتاج إلى الحماية وتلبية نداءه، فالآخر قبل ان نعرف هويته وحقيقته يجب أن نعرف أننا مسئولون عنه وهو بدوره بحاجة إلينا، فالابن لا يمثل فقط أنا الأب لأنه بدوره آخرًا منفصلا عنه. يقول ليفيناس: "الابوة هي علاقة مع غريب هو "أنا" الذي هو كلية الموجود الغير هو أنا، الأبوة هي علاقة "الأنا" مع "الأنا" عينها، التي رغم ذلك تكون غريبة عن الأنا، والابن حقا ليس مجرد عمل لي، كقصيدة أو كشيء مصنوع، كما انه ليس ملكي، فلا مقولات القوة ولا حتى الملكية بإمكانها ان تصف العلاقة مع الولد".<sup>1</sup>

حقيقة غيرية الابوة ليست شبيهة بالوسط الأسري، لأن الابن يصبح برانية للوجه، والأب يكون أنا لا يتعالى على الابن كما لا يجد لنفسه حجة نسبية تعيده إلى ملكية الابن، أن في اتيقا الغيرية يصبح أكثر مسؤولية وحرصا عليه، ويستعيده من آفاق المطلق الآخر، الغريب، فالابن موجود حر فردي مستقل يجسد غيرية بالنسبة للأب، الأبوة إذن تجعل من الابن وجودا متعددًا، لأن هذا الأخير ليس اندماج في الأب كما يقول ليفيناس: "الأبوة ليست مجرد تجدد للأب في الابن واندماج معه، هي أيضا برانية الأب إزاء الابن، أي وجود متعدد، فالابن في الغيرية يصبح يحمل معاني التعالي، وآخر هذا الوجود، لأن العلاقة بالآخر بصفة عامة هي انعطاء لما وراء الوجود، فهذا

<sup>1</sup> -Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 154.

الأب يكسب المعاني التي يفقدها إزاء المحيط الأسري"<sup>1</sup>، ويصبح هذا الابن عبارة عن الموجود الممكن بالنسبة للأب، وهو يتموضع فما وراء يمكن ان يضطلع به الأب، وصورة الابوة هنا تعتبر الابن إمكانية فما وراء الممكن une possibilité au delà du possible لأن الأب يتعامل ما لا يمكنه ان يضطلع به، فما يميز الايروس بصفة عامة هو الاختلاف والتميز، وعودة صريحة إلى المسؤولية الاتيقية التي تتوجب حيال الآخر، داعية على حبه واحترمه دون معرفة هويته سواء كان ذكر أو أنثى، أو أب مع ابنه.

#### رابعا: الذاتية في الايروس.

يرتبط مفهوم الذاتية subjectivité عند ليفيناس باتيقا المسؤولية، باعتبار أن الإنسان مسئولا وحارسا لأخيه، لأن المسؤولية هي أول ما يمكن تلقّيه من الآخر عند رؤية وجهه، فالوجه يلقي خطابا وأمرًا موجهاً لانا، وانا بدوره مسئول عن الآخر وهو في مسؤولية تامة لا تقبل التخلي عنها ولا التنازل عنها، ولا هي بالقابلة للتعويض ولا الإنابة، الذاتية دعوة إلى أولوية الآخر على حساب الأنا، فتعطى الحرية اللازمة له، وتخرج الأنا عن أنانيتها، وتنتفتح بالطيبة لان سعي اتيقا الغيرية هو تأصيل علاقات طيبة bonté، والذاتية ليست سوى استعادة لهذه الاتيقا التي تنماهى بالمسؤولية، التي تدعو التي قبول الآخر واحترامه وواجب ضيافته.

الذاتية في الايروس أيضا لا تخرج عن علاقة أنا بأنا أخرى، أو بين ذاتين، تسعى إلى التحرر من لغة الجسد والحس، والعلاقة التي تتم بين المحب والمحبوب أو بين الذكر والأنثى لا يمكن ان تكون إلا في ظل الذاتية، التي تتجاوز اللاشعري clandestin، وتخرج الأنثى من حيز الاغتصاب وشهوة الأنوثة، ويتستر كل ما هو معبر عن الاغتصاب والحشمة، إن الذاتية هي من تجعل الأنا يحب الآخر ويكون مسئولا عنه، وهي من تجعل من الأنثى آخر مطلقا بالنسبة للذكر، فتقام مسافة تتجاوز كل ما يدعو إلى الانتهاك، فيكون الأنا محبا لمحبيه على نحو الغيرية التي تربطه به، لان هذه الذاتية ليست سوى مبادرة نحو الغيرية ومسؤولية ذاتية إنّية ipséité إزاءها، يقول ليفيناس: "الحفاظ على ثنائية المحب والمحبوب، لا تعني أن أنانية في الحب تريدان تلقى شهادة من المعرفة، وبنية هوية الذاتية تنتج من الايروس تقودنا إلى خارج مقولات المنطق الكلاسيكي"<sup>2</sup>، أي المنطق الذي يعرف الحدود باسم الفصل والنوع.

<sup>1</sup> - Emmanuel Levinas, le temps et l'autre, p 156.

<sup>2</sup> - Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 302,305.

تستهدف الذاتية مباشرة ذات الغير، وهي دائما تحاول الكشف عن الموجود المغفل، لأنها لا تحاول امتلاك ذات أخرى، بل بالعكس تجعلها منفصلة لتكون مسئولة عنها، فوضع المسافة إشارة إلى الاحترام ومنح الحرية للآخر والتقرب إليه، والذاتية في الحب تجعل منه مكانة استثنائية إذ يتموضع بشكل جيد ما وراء كل لذة ووراء كل سلطة كما يذهب إلى ما وراء كل حرب مع حرية الآخر، لأن الذاتية الحميمية amoureuse هي تعدد للجواهر ويبحث عن الذات الخالصة وجعل الأنثى آخرًا ويهدف منح صور أخرى يمكن من خلالها للغيرية أن تظهر، فالأنثوي دون الذاتية يبقى معرضا لاغتصاب ويجرد من المسؤولية ومن الحشمة، حيث لا يبقى للذكر والأنثى أي دور في الغيرية وفي الايروس، وكل ما يبقى إذن هو التعدي على الآخر واختزاله بالنظر إليه على أنه من جنس مختلف، غريب، فيه فقدان شروط الطيبة والاحترام، لذلك كان الدور الهام لهذه الذاتية هو احترام الأنثوي، وحماية الابن، وإعطاء الأنا المسؤولية اللازمة لاتيكا الغيرية التي يمكن أن تنتج من الايروس.

#### خاتمة:

دعا ليفيناس إلى إمكانية توليد غيرية وعلاقة اتيقية مع الجنس الآخر، فالذكر والأنثى ليسا فقط جنسين مختلفين بل هما أيضا حدين ضروريان للغيرية، الأنثى كسبت مكانة استثنائية فصارت آخر مطلقا بينما الذكر بدوره هو أنا مسئول عنها، والمرأة أو الأنثوي لا يمكنه أن يتحرر من المفاهيم الجنسية الاغرائية إلا بالذاتية التي تدعو إلى المسؤولية على الآخر، فالأنثى لم تعد تكتفي بدورها الأنثوي بل صارت شرطا لتوليد علاقة اتيقية أكثر أصالة ونقاوة، تتميز بالخصوبة التي تعطيها حياة جوانية حميمية، لأن الأنثى ليس فقط ما يدعو إلى الانتهاك بل هي ما يدعو إلى الحب والاحترام والمسؤولية، فلا حديث عن الايروس أو الأنثوي إلا في ظل الغيرية التي تبنى باتيكا الأنا على الآخر، ونفس الأمر بالنسبة للابن الذي ليس سوى آخر بالنسبة للأب، وهو في هذا حرو غير محتوي في الابوة. وأهم نتائج هذا البحث تتمثل في:

- الايروس مفهوم ينتهي إلى ما وراء الوجه، ويعبر عن علاقة الوجه بالجوانية لا البرانية.
- الايروس يتحرر من الدنس الحسي والجسدي، وكل ما يتعلق بإشباع الذات أو الاستمتاع بها.
- الأنثى هي الموجود الآخر بالنسبة للذكر، فتصبح "المطلق الآخر" لأنها تملك الغيرية المطلقة.
- الأنثوي في الغيرية يتوارى ولا ينكشف وفعله هو الاختباء.

- الايروس يخضع للشروط الاتيقية القائمة على الفصل بين الذوات.
- الابوة تتنازل عن ابنها لصالح الغيرية، والابن هو "آخر" حرا مختلف عن وجود الأب.
- الذاتية دعوة إلى المسؤولية أمام الايروس، وحفظ لمسالة الشرف والعفة والنقاوة.
- الايروس بقدر ما هو دعوة إلى الانتهاك وممارسة اللاشعري هو ايضا دعوة إلى اتيقا المسؤولية.

#### قائمة النصوص والمراجع:

- 1- Emmanuel Levinas, totalité et infini, essai sur l'extériorité, livre de poche, martinus, nijhiff, 1971.
- 2- Emmanuel Levinas, le temps et l'autre, puf, paris, 1985.
- 3-Emmanuel Levinas, éthique et infini, livre de poche, librairie arthene, fayard et radrie, France.
- 4-Jacques derrida, l'écriture et la difference, edition du seuil, paris, 1967.
- 5-ernst wolff, de l'éthique à la justice, langage et politique de la philosophie de levinas, springer, thenetherlands, 2007.
- 6-افلاطون، محاوره المأدبة، تر:شوقي داود تماراز، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994.
- 7- لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ج1، تعريب خليل احمد خليل، أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط2، 2001.